سلسلة كتب التصوف الإسلامى

الكتاب الرابع والعشرون

أصول التصوف فى القرآن الكريم والسنة المحمدية

المعالم الصوفية فى قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام

للأستاذ الدكتور

جودة محمد أبو اليزيد المهدى

أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم

وعميد كلية القرآن الكريم بطنطا



سلسلة كتب التصوف الإسلامى

الكتاب الرابع والعشرون

أصول التصوف فى القرآن الكريم والسنة المحمدية

المعالم الصوفية فى قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام

للأستاذ الدكتور

جودة محمد أبو اليزيد المهدى

أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم

وعميد كلية القرآن الكريم بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشـــرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وورثته الأوليـــاء العارفـــين. رضى الله عنهـــم وســـلك بـــنا ســـبيلهم وحشـــرنـــا فى زمـــرهم يـــوم الديـــن.

وبعـــــد

فإن مهمة تـــأصيل مبـــادئ التصـــوف الإســـلامى وسلوكياته الراشدة أصبحت من أهـــم الضروريـــات فى عصرنا الحاضر الذى تتقاذفه ألسنة الفتن المذهبية الجامحـــة من كل حدب وصوب، ومن أبرزها تلك التى تســـتهدف عزل التصوف الإسلامى ـــ الذى يمثل جوهر الإســـلام وذروة روحانيته ـــ عن رحاب هذا الدين، وتزعم عـــزو أصوله وسلوكياته إلى مصادر غير إسلامية.فكـــان مـــن حتميات المنهج العلمى الصوفى إبراز الأصـــول القرآنيـــة للتصوف واضحة جلية المعالم لتستقر فى الأذهان مصداقيـــة انتمائه المباشر للكتاب والسنة.

فكان هذا البحث العلمي القرآنى الصوفى خطوة على الطريق تعقبه خطوات وخطوات لتجسيد حقيقة التصوف نابعة من معين الوحيين النيرين (الكتاب والسنة). وأسأل الله تعالى دوام التوفيق والقبول والنفع العميم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أ.د.جودة محمد أبو اليزيد المهدى
عميد كلية القرآن الكريم
وعضو اللجنة العلمية
بالمجلس الصوفى الأعلى بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

فى محيط أنوار التنزيل الحكيم تتكشف الحقائق العرفانية لأولى البصائر النيرة والقلوب المحررة من رق الأقفال وأسر الريون والأهواء،فتستمد هذه القلوب بالتدبر القرآنى والاستغراق التعبدى ذاتيتها الربانية باسطة أجنحة العقل فى أفق سماء النقل لتقتات من هدى القرآن العظيم زاد المعرفة الحقانية، وتقتبس من ضيائه نور اليقين، وتتعرف معالم السلوك القويم إلى جناب رب العالمين.

وفى عباب بحار معانى التنزيل الزاخرة يتعرف أولو الألباب الفقهون عن الله تعالى مجامع العلوم وأصول الحقائق ويتكشفون بما آتاهم الله من فرقان معارف الدين فى أطرها الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والاحسان، يقول حجة الإسلام الإمام الغزالى قدس الله سره:(فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته، وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفى القرآن إشارة إلى مجامعها، والمقامات فى التعمق فى تفصيله راجع إلى فهم القرآن)[1].

وقد أدرك سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ـ بالتحقق والتدبر والاستنباط والتأويل العرفانى بالفهم عن الله تعالى ـ موسوعية معانى

---

[1] الإمام أبو حامد الغزالى :إحياء علوم الدين: ١/٢٦٠ ط / العثمانية.

التنزيل واستيعابها لعلوم الأولين والآخرين بله ما استأثر الله تعالى بعلمه، فقال سيدنا على كرم الله وجهه (لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من فاتحة الكتاب)، وقال الإمام عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه : (من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن)[1]، وهذان الأثران الجليلان مؤشران للإطلاق والاستغراق فى قوله تعالى: (ما فرطنا فى الكتاب من شىء)[2]وقوله سبحانه :(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء)[3]، ثم كان للسنة النبوية الشريفة دور التبيين للتبيان، حيث قال تعالى شأنه (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)[4]، وكذلك لها الحكم والفصل عند النزاع فى الحقائق والاختصام فى الحقوق إذ قال عز من قائل: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله..)[5]، ومن ثم :كان فى الالتزام بهدى الوحيين النيرين عصمة القلوب والعقول من الزيغ والزلل.

وقضية التصوف الإسلامى من أبرز القضايا التى أحتدم النزاع فيها والجدل حولها، ولبث الفكر الإسلامى فى معالجتها أحقابا طولا من الدهر ما بين إثبات مثبت وإنكار معاند وتطرف مقيت،

---

(1) نفس المصدر والصحيفة.

(2) سورة الأنعام: الآية الكريمة ٣٨.

(3) سورة النحل: الآية الكريمة ٨٩.

(4) سورة النحل: الآية الكريمة ٤٤.

(5) سورة النساء: الآية الكريمة ١٠٥.

وتقمصت الأهواء والبدع فيها النفوس والعقول، وما كان لهذا النزاع والصراع أن يجدا سبيلهما إلى القلوب المنكرة والحجى المتنافرة لو أنها اعتصمت بحبل الله المتين وتحاكمت إلى صاحب السنة الأمين ﷺ، ولكن جموح الفكر وشطط الهوى قد اجتذبا القضية من أطراف عديدة بعيدا عن الموضوعية العلمية للتحاكم فيها إلى الرأى المذهبى الآبق عن هدى الكتاب والسنة.

من ثم حق على القرآنيين وحملة لواء السنة أن يضعوا القضية تحت مجهر الوحيين النيرين للحسم فيها بكلمة الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) التى لا معقب لها ولا مقنع من غيرها.

ومن هنا جاء دور هذا البحث لتأصيل جملة من المبادئ والقواعد التى تمثل جوهر التصوف الإسلامى فى إطاره القرآنى والسنى بعيدا عن الشقشقة الفارغة فى مناقشة تسميته الاصطلاحية التى يمكن بسهولة إحلال العديد من البدائل القرآنية والحديثية محلها مثل (التزكية)، (الربانية)و(الإحسان) وغيرها[1] فالمهم هو الجوهر،

---

[1] أنظر معالجة التسمية الاصطلاحية للتصوف فى اللمع للطوسى ٤١ـــ٤٢ط١٩٦٠م)،وفى الرسالة القشيرية (٦٢/١ط١٩٧٢م)،وفى كتاب: ربانية لا رهبانية لأبى الحسن الندوى (ص ١١- ٢٧طبع دار الشروق١٩٨٣م)

والحقيقة، والمبادئ، والقواعد، والمنهج، والغاية.وقد وجدت فى قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح سيدنا الخضر ــ على نبينا الأعظم وعليهما الصلاة والسلام- كما صورها القرآن والسنة الصحيحة ــ: مصدرا جزيلا ثريا بالعطاء، فيه تتضح الرؤى والمعالم، ونغتنم الفوائد والمقاصد، وتستقى المبادئ التى ترسخ قواعد السلوك الصوفى الرشيد إلى غاية لا منتهى لها فى أرض الحقيقة، فلا يتبقى بعد لمتنطع أن يزعم عزل التصوف عن ساحة التتريل وعزوه إلى مصادر أجنبية عن الإسلام.

وقد ارتأيت فى تأصيل أبرز المعالم الصوفية من الوحيين النيرين أقوم سبيل لحسم التراع فى القضية بعيدا عن المنطق الجدلى والسفسطة العقيمة إذ لا طائل من ورائهما إلا إلهاب أوار الخلاف وإذكاء روح التراع ونعوذ بالله تعالى منهما، فلنول وجوهنا جميعا شطر القرآن العظيم والسنة المطهرة بروح النصفة والتجرد ما دمنا طلاب حقيقة !!.

وسنبدأ ــ بتوفيق الله تعالى ــ بسوق القصة بنص القرآن الكريم

أولا ثم نتبعه بإيرادها فى الحديث الشريف ثانيا، ثم نشرع فى استقاء المعالم الصوفية الوضاءة من نصى الوحيين النيرين فى ضوء أقوال الراسخين فى العلم من أثبات المفسرين والمحدثين وأئمة العارفين بالله تعالى رضوان الله عليهم أجمعين.

يقول تعالى شأنه فى سورة الكهف:

"وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا* فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا* فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا* قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا* قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا* فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما* قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا* قال إنك لن تستطيع معى صبرا* وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا* قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا* قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا*فانطلقا حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا.قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا* قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من

أمرى عسرا. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا *قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا* قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا* فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا*قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا* أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا*وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا* فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما*وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا[1]".

وننتقل إلى السنة النبوية الشريفة فنجد جوامع الصحاح والسنن قد تضافرت على إيراد القصة من طرق شتى متضمنة بيان النص التنزيلى بإبراز تفاصيل وتوضيحات لعديد من المجملات فى القصة يتصدرها تحقيق شخصية الطرف الأول فيها وهو سيدنا موسى

---

(1) سور الكهف: الآيات الكريمات ٦٠ ــ ٨٢.

الرسول على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وبيان سبب ارتحالـــه إلى العبد الصالح الذى صرح الحديث الشريف بأنه سيدنا الخضر عليـــه السلام إلى غير ذلك من التفاصيل التى تتكشف بها أبعاد وجوانـــب لها مدلولاتها المهمة فى القصة.

فيروى الشيخان رضى الله عنهما بسنديهما عن سيدنا سعيد بن جبير رضى الله عنه أنه قـــال: قلـــت لابـــن عبـــاس: إن نوفـــا البكالى[1]يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صـــاحب بنى إسرائيل، فقال ابن عباس : كذب عدو الله حدثنى أبى بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن موسى قام خطيبا فى بنى إســـرائيل، فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا[2] فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منـــك. قال موسى: يا رب فكيف لى به؟ قال: تأخذ معك حوتا فتجعله فى

---

(1) جاء فى رواية أخرى للبخارى: أن نوفا البكالى هذا رجلا قصاصا بالكوفة وقد ذكـــر الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨/٢٣٢ طبع البهية المصرية): أن اسم ابيـــه فضالـــة، وأنـــه منسوب إلى بنى بكال بن دعمى بن سعد بن عوف ــ بطن من حمير ــ ويقال : أنه ابـــن امرأة كعب الأحبار، وقيل: ابن أخيه، وهو تابعى صدوق. أ هـــ.

(2) جاء فى الرواية الأخرى للبخارى عن سيدنا أبى بن كعب ﷺ إنه قال : قال رســول الله ﷺ: (موسى رسول الله ﷺ قال:ذكر الناس يوما حتى إذا فاضت العيون ورقت القلـــوب ولى فأدركه رجل فقال: أى رسول الله هل فى الأرض أحد أعلم منك ؟ قال: لا: فعتـــب عليه إذ لم يرد العلم إلى الله).

مكتل، فحيثما فقد الحوت فهو ثم!! فأخذ حوتا فجعله فى مكتمل. ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما، فناما، واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا[1]، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما أستيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا من غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. قال: و لم يجد موسى النصب حتى جاوزوا المكان الذى أمر الله به. فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا.

قال: فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا. فقال موسى: ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا.قال :رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى ثوبا، فسلم عليه

(1) أورد الإمام البخارى فى رواية أخرى عن الإمام سفيان بن عيينية أنه قال: وفى حديث غير عمر قال : (وفى أصل الصخرة عين يقال لها: الحياة، لايصيب من مائها شىء إلا حيى، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر) وقد كان الحوت ميتا بدليل ما رواه البخارى فى رواية أخرى عن يعلى أنه قال (قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح..."، ومن ذلك يتضح سر إحياء الحوت الميت المملوح، كما ذكر الإمام الشرقاوى فى فتح المبدى (٢٤٩/١طبعة صبيح)أنه قيل: توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء.

موسى. فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام ؟

قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم. أتيتـــك لتعلمنى مما علمت رشدا.

قال: إنك لن تستطيع معى صبرا. يا موسى: إنى على علم مـــن الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم مـــن الله علمـــك الله لا أعلمه.

فقال موسى: ستجدنى إن شاء الله صـــابرا ولا أعصـــى لـــك أمرا.فقال له الخضر: فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحـــدث لك منه ذكرا.

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهـــم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر، فحملوه بغير نول[1].

فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم. فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمـــدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئا إمرا!!

قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا؟ قال: لا تؤاخذنى بمـــا نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا. قال : وقـــال رســـول الله ﷺ: وكانت الأولى من موسى نسيانا. قال: وجاء عصفور فوقع علـــى

---

[1] أى بغير أجرة.

حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمى وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر !!

ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده. فأقتلعه بيده فقتله [1]. فقال له موسى: أقتلت نفسا زكية بغير نفس ؟؟ لقد جئت شيئا نكرا!! قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا ؟؟ قال- وهذا أشد من الأولى- قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا.

فانطلقا، حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض- قال: مائل- فقام الخضر فأقامه بيده. فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا و لم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجرا. قال : هذا فراق بينى وبينك.. - إلى قوله-: (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا).

فقال رسول الله ﷺ : (وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما)[2].

---

[1] أورد الإمام البخارى فى رواية أخرى عن سيدنا سعيد بن جبير قال: (وجد غلمانا يلعبون فأخذ غلاما كافرا ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين).

[2] أنظر : صحيح البخارى : كتاب العلم ١/١٧، ٢٤ وكتاب تفسير القرآن : ٣/١٠٣-١٠٥ ط: حجازى ــ واللفظ منه ــ وأنظر صحيح مسلم بشرح النووى : كتاب

وفى القصة مرويات أخرى من عدة طرق أوردتها مصادر السنة الشريفة لا نطيل عنان الكلام بذكرها ـــ مراعاة للمقام ـــ ونكتفى بما أوردناه حيث يعتبر فى نظرنا بمثابة متن القصة، وبقية الروايات تعطى إضافات بمثابة الشروح أو الحواشي، وقد يقتضينا البحث الرجوع إليها لتوضيح بعض الجوانب.

ولنفرغ الآن لاستقاء المعالم الصوفية واستنباط المعطيات التى تؤصل جوانب التحقق والسلوك الصوفى الرفيع فى إطاره القرآنى المحمدى لدحض تلك المزاعم المارقة التى تنفى عن التصوف شرعيته الإسلامية وهويته القرآنية وأصالته المحمدية، وتصطنع الحيلولة الزائفة بين الصوفية الحقة والسلفية الصادقة، وتتاجر بضرب الأولى بالثانية فى دياجير الغيبوبة عن حقائق القرآن والسنة.

* * * * * *

(**فالمعلم الأول**)الذى نتعرفه فى آيات هذه القصة هو ثبوت حقية العلم اللدنى [1] وهو العلم الخاص الذى لا يعلم إلا من جهته تعالى

الفضائل: ١٥/١٣٥ـــ ١٤٧ط المصرية، وأنظر تخريج الحافظ السيوطى لروايات هذه القصة عن الشيخين والترمذى والنسائى وابن جرير وابن المنذر وأبن أبى حاتم وأبن مردويه والبيهقى وغيرهم : فى الدر المنثور: ٤/٢٢٩ـــ٢٤٠ نشر دار المعارف ببيروت.

[1] لهذا العلم عند السادة الصوفية وإثبات العلماء والعارفين أسماء عديدة فيطلق عليه: علم الأسرار، وعلم المكاشفات وعلم الغيوب وعلم الموهبة، وعلم الحقيقة، والعلم المكنون،

وهو المثبت بقوله صلى الله عليه وسلم : (إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا)[١]،وبقوله ﷺ (إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله عز وجل)[٢]، ويعاضدُ ذلك: ما رواه الإمام البخارى عن سيدنا أبى هريرة ﷺ أنه قال: (حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين من علم، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر: فلو بثثته قطع هذا البلعوم)[٣].

وهذا المعلم مستفاد من قوله تعالى شأنه:(وعلمناه من لدنا علما). قال العلامة الزمخشرى فى تفسيره: (من لدنا: مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب)[٤].

وقال الإمام فخر الدين الرازى رضوان الله عليه: قوله(وعلمناه من لدنا علما) يفيد أن تلك العلوم حصلت له من عند الله من غير

وعلم الباطن، وليس هو مدعى مذهب الباطنية المارق الذى لم يمت إلى التصوف بصلة، ولا هو باطن الظاهر الذى يتفق معه ولا ينافيه وله مستمده وسنده من الوحيين النيرين.

[١] أخرجه ابن حبان فى صحيحه عن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ، وخرجه عنه الحافظ العراقى فى (المغنى عن حمل الأسفار بتحقيق ما فى الأحياء من الأخبار). أنظره بحاشية الإحياء للإمام الغزالى ١/٨٨ط: العثمانية.

[٢] أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس عن سيدنا أبى هريرة ﷺ. أنظر الجامع الكبير للحافظ السيوطى ١/٢٧٠ وكنز العمال ١٠/١٨١.

[٣] أنظر : صحيح البخارى: كتاب العلم: ١/٢٤ط: حجازى.

[٤] أنظر تفسير الكشاف للزمخشرى ٢/٤٩٢ط:الحلبى.

واسطة والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات: العلوم اللدنية، وللشيخ أبي حامد الغزالي رسالة في (إثبات العلوم اللدنية)[1].

ثم تناول– عليه الرضوان– حقيقة هذا العلم بعد أن بسط له بتقسيم المدركات إلى تصديقية وتصورية، وإلى نظرية وكسبية، والكسبية إلى ما يتحصل بتكلف الفكر والنظر والتأمل، وما يتحصل بإشراق الأنوار الإلهية دون واسطة سعي في التفكير والتأمل وهو العلم اللدني فقال: (النوع الثاني: أن يسعى الإنسان بواسطة الرياضيات والمجاهدات في أن تصير القوى الحسية والخيالية ضعيفة، فإذا ضعفت قويت القوة العقلية وأشرقت الأنوار الإلهية في جوهر العقل، وحصلت المعارف، وكملت العلوم من غير واسطة سعي وطلب في التفكر والتأمل، وهذا هو المسمى بالعلوم اللدنية.

إذا عرفت هذا فنقول: جواهر النفس الناطقة مختلفة بالماهية، فقد تكون النفس نفسا مشرقة نورانية إلهية علوية قليلة التعلق بالجواذب البدنية والنوازع الجسمانية، فلا جرم كانت أبدا شديدة الاستعداد لقبول الجلايا القدسية والأنوار الإلهية، فلا جرم فاضت عليها من عالم الغيب تلك الأنوار على سبيل الكمال والتمام، وهذا هو المراد

---

(1) أنظر: مفاتيح الغيب(التفسير الكبير) للفخر الرازي ٢١/١٥٠ط: دار الفكر ببيروت.

بالعلم اللدنى، وهو المراد من قوله: (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما).

وأما النفس التى ما بلغت فى صفاء الجوهر وإشراق العنصر فهى النفس الناقصة البليدة التى لا يمكنها تحصيل المعارف والعلوم إلا بمتوسط بشرى يحتال فى تعليمه وتعلمه.

والقسم الأول بالنسبة إلى القسم الثانى كالشمس بالنسبة إلى الأضواء الجزئية، وكالبحر بالنسبة إلى الجداول الجزئية. وكالروح الأعظم بالنسبة لى الأرواح الجزئية. فهذا تنبيه قليل على هذا المأخذ، ووراءه أسرار لا يمكن ذكرها فى هذا الكتاب)[1].

وقال الإمام أبو القاسم القشيرى ﷺ فى تفسير قوله تعالى: (وعلمناه من لدنا علما):(قيل: العلم من لدن الله: ما يتحصل بطريق الالهام دون التكلف بالتطلب ويقال: ما يعرف[2] به الحق- سبحانه- الخواص من صلاح عباده.ويقال : ما يعرف به الحق أولياءه فيما فيه صلاح عباده.

وقيل : هو ما لا يعود منه نفع إلى صاحبه بل يكون نفعه لعباده

---

[1] أنظر نفس المصدر: ٢١/١٥١

[2] ضبط الفعل (يعرف)فى هذا القول والذى يليه : بضم أوله وفتح ثانيه وكسر ثالثه مع التشديد.

مما فيه حق الله سبحانه)[1].

وقد نقل الإمام الآلوسي عليه رضوان الله تعالى طرفا من أقـوال أئمة الصوفية رضوان الله عليهم في ماهية العلم اللدني لدى تفسيره الإشاري لقوله تعالى (وعلمناه من لدنا علما)، فقـال في تفسيره (وقال ذو النون[2]:العلم اللدني هو الذي يحكم على الخلق بمواقـع التوفيق والخذلان. وقال الجنيد[3]قدس الله سره:هو الاطلاع علـى الأسرار من غير ظن فيه ولا خلاف واقع، لكنه مكاشفات الأنـوار عن مكنون المغيبات ويحصل للعبد أن يحفظ جوارحه عـن جميـع المخالفات، وأفنى حركاته عن كل الارادات، وكان شبحا بين يدى الحق بلا تمنى ولا مراد، وقيل: هو علم يعرف به الحـق سبحانه أولياؤه ما فيه صلاح عباده.وقال بعضهم : هو علم غيبى يتعلق بعالم الأفعال، واخص منه : الوقوف على بعض سر القدر قبل وقـوع واقعته، وأخص من ذلك : علم الأسماء والنعوت الخاصة، وأخـص

---

(1) أنظر لطائف الإشارات للإمام القشيرى ٤/ ٨٠ نشر دار الكتاب العربى.

(2) هو الإمام أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المعروف بذى النون المصـرى المتـوفى سـنة ٢٤٥هـ ترجم له الإمام القشيرى فى الرسالة(١/ ٥٤ط دار التأليف)، وقال فيه (فـائق فى هذا الشأن ـ أى التصوف ـ وأوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا)رضى الله تعالى عنه.

(3) هو الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادى المتوفى سنة ٢٩٧هـ قال عنه صـاحب الرسالة القشيرية (١/ ١٠٥)(سيد هذه الطائفة وإمامهم)رضى الله عنه وعنا به.

منه علم الذات)[1].

ثم لقد أضاف الإمام العارف بالله تعالى الشيخ إسماعيل حقى رضوان الله عليه مفرادات رائعة فى تفسيره الفريد (روح البيان)إذ قال: (وعلمناه من لدنا علما خاصا وهو علم الغيوب والإخبار عنها بإذنه تعالى على ما ذهب إليه ابن عباس[2]-رضى الله عنهما- أو علم الباطن. قال فى بحر العلوم[3]:إنما قال (من لدنا) مع العلوم كلها من لدنه : لأن بعضها بواسطة تعايم الخلق، فلا يسمى ذلك علما لدنيا، بل العلم اللدنى هو الذى يترله فى القلب من غير واسطة أحد ولا سبب مألوف من خارج كما كان لعمر، وعلى، ولكثير من أولياء الله تعالى المرتاضين الذين فاقوا بالشوق والزهد على كل

---

[1] أنظر : روح المعانى للإمام الألوسى:٢٢/١٦.

[2] جاء فى رواية الإمام الطبرى عن الإمام ابن عباس ﷺ : أنه قال شأن سيدنا الخضر عليه السلام (وكان رجلا يعلم علم الغيب)؟. كما أورد تفسيره لقوله تعالى (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) بقوله: (أى: انما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تحط من علم الغيب بما أعلم) أنظر: جامع البيان للإمام الطبرى : ١٥/٢٨٠ط: الحلبى.

[3] هو كتاب بحر العلوم فى التفسير للشيخ الفاضل السيد علاء الدين على السمر قندى ثم القرمانى تلميذ الشيخ علاء الدين البخارى المتوفى فى حدود سنة ٨٦٠هـ أنظر كشف الظنون لحاجى خليفة ١/٢٢٥.

من سواهم)[1].

ثم ينقل عن مفسر صوفى جليل هو الشيخ نجم الدين داية رضوان الله عليه أنه قال فى تفسير قوله تعالى (وعلمناه من لدنا علمـــا):ـــ (وهو علم معرفة ذاته وصفاته الذى لا يعلمه أحد إلا بتعليمه إياه).

ويوضح ذلك قائلا : (واعلم أن كل علم يعلمـــه الله تعـــالى عباده ويمكن للعباد أن يتعلموا ذلك العلم من غير الله تعـــالى فإنـــه ليس من جملة العلم اللدنى لأنه لا يمكن أن يتعلم من لدن غيره، يدل عليه قوله (وعلمناه صنعة لبوس لكم،فإن صنعة اللبوس مما علمه الله داود عليه السلام، فلا يقال أنه العلم اللدنى، لأنه يحتمل أن يتعلـــم من غير الله تعالى فيكون من لدن ذلك الغير، وأيضا: إن العلم اللدنى ما يتعلق بلدن الله تعالى، وهـــو علـــم معرفـــة ذاتـــه وصفاتـــه تعالى)[2]اهـــ

ثم يفيض فى بيان نوعية ذلك العلم الذى ذهب الكليم لتلقيه مـــن الخضر عليه السلام ومن أى أنواع العلم الباطنى هو ؟ فيقول عليـــه الرضوان: (واعلم أن التحقيق الحقيق فى هذا المقام: أن العلم المـأمور موسى عليه السلام بتعلمه من الخضر هو العلم الباطنى المتعلم بطريق

---

[1] (٢٩)، (٣٠) أنظر: تفسير روح البيان للعلامة الشيخ إسماعيل حقى ٥/٢٧٠ نشـــرة دار إحياء التراث العربى– بيروت.

[2] نفس المصدر السابق.

الإشارة لا العلم الباطني المتعلم بطريق المكاشفة، ولا العلم الظاهري المتعلم بطريق العبارة.

والدليل عليه: إرسال الحق سبحانه موسى إلى عبده الخضر وعدم تعليمه بواسطة أمين الوحي جبرائيل، وتعليم الخضر بطريق الإشارة بالأمور الثلاثة، لكن لما كان الظاهر بالنظر إلى غلبة جانب علم الظاهر في وجود موسى أن يطلب تعلمه من طريق العبارة لا بطريق الإشارة،وطريقه: طريق الإشارة لا طريق العبارة قال: (إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) من طريق التعلم بالإشارة لا بالعبارة، والغالب عليك هو طريق العبارة، (ولكل وجهة هو موليها)[1]، (قل كل يعمل على شاكلته)[2] أهـ[3]. وبهذا البيان العرفاني الثاقب: نستجلي خصوصية وجهة هذا العلم الخضري المميزة في نطاق عموم العلم اللدني، وأن ورود ذلك العلم حاصل بالطريق الاشاري. وقد أوتي سيدنا الخضر عليه السلام علم الإشارة والوراثة والباطن والحقيقة، ولذلك عبر عنه بلفظ العلم بناء على التعبير بالمطلق على الفرد الكامل بين أفراده، حيث أن العلم الباطني من العلم الظاهري بمنزلة الروح من الجسد

---

(1) من الآية الكريمة ١٤٨من سورة البقرة.

(2) من الآية الكريمة ٨٤ من سورة الإسراء.

(3) أنظر :تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي:٥/٢٧٢.

والمعنى من الصورة، وكلاهما أى الظاهرى والباطنى له كماله الذاتى الحقيقى والافتراق بينهما من جهة التعين فلا يلغى أحدهما إثبات الآخر على الإطلاق.

بيد أنه لما كان مقام هذا العلم الباطنى مقام القرب الذاتى عبر عنه بقوله تعالى (من لدنا) أى: من مقام أحدية ذاتنا ومرتبتها، لحصوله بمحض تعليم الحق تعالى من لدنه بغير واسطة عبارة[1].

ومن هذا المعلم العلمى الذى هو محور أحداث ومفادات قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر على نبينا وعليهما الصلاة والسلام: يتأصل ثبوت العلم اللدنى ويسلم للسادة الصوفية المتحققين الإخبار عنه والعمل بمقتضاه طالما لا توجد أدنى منافاة بينه وبين ظواهر النصوص الشرعية المحكمة[2].

---

[1] أنظر نفس المصدر ٥/٢٧١.

[2] نؤكد ههنا حرص أئمة الصوفية على ضرورة التمسك بظواهر النصوص الشرعية وعدم الالتفات إلى ما يناقضها مطلقا، بما نص عليه حجة الإسلام الإمام الغزالى قدس الله سره إذ يقول فى الإحياء (لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا، ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر) ويقول عليه الرضوان اثر تبيانه فهم أرباب القلوب لمعانى الأحاديث النبوية(وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره، فهذا ما نورده لفهم المعانى الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم)أنظر إحياء علوم الدين (١/٢٦٢، ٢٦٤ط:العثمانية).

ومن ثم لا يلتفت مطلقا إلى إنكار المحجوبين المتعصبين على أولياء الله تعالى المقربين إثباقم العلم اللدنى ولعلوم المكاشفات والمشاهدات ما دام الجمع بينها وبين ظواهر النصوص الشرعية ممكنا. وإنى لأعجب من حدة التعصب فى رفض التسليم بشرعية هذا العلم من قوم يدعون الانتماء إلى السلف الصالح ويزعمون أن ابن تيمية هو إمامهم وقدوقم فى رفض العلم الباطن، وفى تزييف علوم المكاشفة وما دروا موقف إمامهم من ذلك على الحقيقة!!.

إن ابن تيمية كان منصفا للصوفية فى إثبات هذا العلم وعده من خوارق العادات التى يكرم الله تعالى بها أولياءه، فقال فى رسالة عقدها لهذا المبحث بعنوان (قاعدة شريفة فى المعجزات والكرامات) وهى ضمن مجموع الفتاوى له- (.. فما كان للخوارق من باب العلم : فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومناما، وتارة بأن يعلم ما لا يعلمه غيره وحيا أو إلهاما، أو إنزال علم ضرورى أو فراسة صادقة، ويسمى كشفا ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات : فالسماع مخاطبات والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله (كشفا) ومكاشفة أى :كشف له عنه[1]. ثم نجد ابن تيمية يطلق على هذه الخوارق

---

[1] أنظر :مجموع فتاوى ابن تيمية :المجلد الحادى عشر (التصوف)ص ٣١٣.

العلمية الواقعة للأولياء اسم المعجزات - متأسيا فى ذلك بالإمام أحمد بن حنبل ﷺ ويعتد منها ما وقع فى قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام فيقول: (وأما المعجزات التى لغير الأنبياء (من باب الكشف والعلم) : فمثل قول عمر فى قصة سارية، وإخبار أبى بكر بأن ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلا، وقصة صاحب موسى فى علمه بحال الغلام)[1]. إنها الحقيقة عند ابن تيمية، ولنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية)!!.

* * * * * *

وأما (**المعلم الثانى**) الذى نتعرفه فى القصة القرآنية : فهو : أن طريق الوصول إلى هذا العلم اللدنى والتحقيق بمعرفة الله عز وجل إنما هو صدق العبودية لله تعالى والقرب منه سبحانه بالتزام منهاجه القويم، واتباع صراطه المستقيم حتى تتمخض عبودية العبد لسيده ومولاه فيقربه منه ويدنيه وينسبه لجنابه الأعلى ويؤتيه من رحمته رتبة الولاية الكبرى.

(وهذا المعلم مستفاد من قوله تعالى: (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما)، فقد أثبتت الآية الكريمة تحقق سيدنا الخضر - على نبينا وعليه السلام - بصدق

---

[1] أنظر :نفس المصدر ص٣١٨.

العبودية لله عز وجل ابتداء، فكانت العبودية أول أوصافه، ثم اتبعت بالإضافة إلى الجناب الأقدس حيث قمة التشريف والاختصاص، يقول خاتمة المحققين وعمدة المدققين فى التفسير الإمام الآلوسى قدس الله سره فى تفسير الآية الكريمة (والتنوين فى (عبدا): للتفخيم، والإضافة فى (عبادنا): للتشريف والاختصاص، أى: عبدا جليل الشأن ممن اختص بنا وشرف بالإضافة إلينا)[1].

وقد بين أئمة العارفين أن السالك لطريق الله تعالى له فى التحقيق بالعبودية الحقة مراتب ثلاث، فيقول شيخنا العارف بالله تعالى سيدى أحمد ضياء الدين النقشبندى[2] عليه رضوان الله تعالى (العبادة: هى غاية التذلل للعلمة، والعبودية: للخاصة الذين صححوا النسبة إلى الله والصدق إليه فى سلوك طريقه، والعبودة: خاصة الخاصة الذين شهدوا نفوسهم قائمة به فى عبودته، فهم يعبدونه به

---

[1] أنظر :روح المعانى للإمام شهاب الدين الآلوسى البغدادى ١٥/٣٢٠ط: المنيرية.

[2] هو الإمام العلامة خاتمة المحدثين وقطب العارفين سيدى أحمد بن مصطفى الكمشخانوى (١٢٢٧ - ١٣١١هـ) صاحب التصانيف الجامعة التى تربو على الخمسين مؤلفا منها رموز الأحاديث وشرحه لوامع العقول (فى خمسة مجلدات) وغرائب الأحاديث، وشرحه، وجامع الأصول ومتمماته، وغيرها وهو شيخ شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ جودة إبراهيم رضي الله عنه (جد الفقير إلى الله تعالى كاتب هذه السطور) أنظر ترجمة الإمام الكمشخانوى فى معجم المؤلفين-(١٧٨/٢).

فى مقام أحدية الفرق والجمع[1] ، وبقول الإمام الآلوسى عليه رضوان الله تعالى: (والعبودية - على ما نص عليه العارفون - أشرف الأوصاف وأعلى المراتب، وبها يفتخر المحبون كما قيل: لا تدعنى إلا بيا عبدها

فإنه أشرف أسمائى وقال آخر: بالله إن سألوك عنى قل لهم عبدى ومالك يدى وما أعتقته. وعن أبى القاسم الأنصارى أنه قال: لما وصل النبى ﷺ إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة أوحى الله تعالى إليه: يا محمد بم نشرفك؟ قال: بنسبتى إليك بالعبودية فأنزل الله تعالى: (سبحان الذى أسرى بعبده)[2]. والفائدة التى نستخلصها ونعض عليها بالنواجذ ونحن بصدد استقراء معطيات هذا المعلم: هى أنه لا طريق إلى العلم اللدنى الذى هو ثمرة للولاية لله تعالى إلا التعبد له عز وجل بالتزام شريعته التزاما كاملا قدر ما تسعه طاقة العبد دون تفريط فى حق من حقوق الله تعالى حتى تتحرر ذاتية العبد وانيته من كل ما سوى الله سبحانه، هنالك تصدق عبوديته لله جل جلاله وينسب إليه فيكون عبدا ربانيا، وما عدا ذلك فسبيل للشيطان تبرأ منها الصوفية الحقة والولاية الحقيقية لله تبارك وتعالى.

---

(1) أنظر: جامع الأصول للإمام أحمد ضياء الدين الكمشخانوى ص ٦٤ ط: الحلبى.

(2) سورة الإسراء -أنظر : روح المعانى للإمام الآلوسى :١٥/٤ ط:المنيرية

ومن ثم: لا يلتفت إلى دعاوى التحلل من قيود الشريعة وإسقاط التكاليف والتخلي عن ظواهر نصوص الكتاب والسنة، وأنها دعاوى إباحية قصد منها النيل من الصوفية وأولياء الله تعالى بقدر ما قصد منها النيل من الإسلام ذاته.

وقد صادر أئمة التصوف أنفسهم رضوان الله عليهم على تلك الدعاوى منذ عصر السلف الصالح في القرون الثلاثة الأولى، فقال سيد الطائفة الصوفية الإمام الجنيد رضي الله عنه (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام)[1]. وقال: (مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة)[2].

وقد أتاه رضي الله عنه رجل وذكر عنده المعرفة وقال: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات - أي الأعمال - من باب التقرب إلى الله عز وجل. فقال الإمام الجنيد قدس الله سره: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه راجعوا فيها ولو بقيت ألف

---

[1] أنظر : الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري ١٠٦/١ ط: دار التأليف.

[2] نفس المصدر ١٠٧/١.

عام، أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها)[1].

ومن ثم فليس هناك علم لدنى إلا بالتعبد بالتزام شرع الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وليست هناك ولاية لله إلا بمتابعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. والتركيز على هذه النقطة فى ذروة الأهمية، لأن قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر على نبينا وعليهما السلام تعطينا فى هذه الآية الكريمة: (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) شروط الشيخ المرشد الذى يقتدى به فى طريق الله عز وجل، فكان الشرط الأساسى الأول أن تتحقق فيه آداب العبودية لله عز وجل وواجباتها والتزاماتها التى أفرد لها القوم كتبا خاصة[2] وبتحقق هذه الواجبات والشروط والآداب ينال العبد ولاية الله تعالى ويعلم من لدنه علما.

* * * * * *

وأما (**المعلم الثالث**) فهو تحقيق شخصية سيدنا الخضر على

---

[1] نفس المصدر ١/١٠٦.

[2] من تلك الكتب - على سبيل المثال - كتاب الإمام العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى ﷺ (الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية) وهو مطبوع وملحق بطبقاته الكبرى ط/ الشرقى، وليت المفترين على الإمام الشعرانى رضى الله عنه يقفون على هذا الكتاب ليتعرفوا مدى تحققه وتمسكه بهدى الكتاب العزيز والسنة المطهرة بدلا من أن يتصيدوا له ما دس عليه مما يبرأ منه فى تصانيفه.

نبينا وعليه السلام، والتنويه بمرتبته ومكانته من ربه عز وجل، فـــإن المراد بالعبد فى قوله تعالى: (فوجدا عبدا من عبادنا) هـــو ســيدنا الخضر عليه السلام فى قول جمهور العلماء والمفسرين،[1] وبمقتضـــى الأحاديث الثابتة كما مر تخرجه عن الصحيحين وغيرهمـــا.وقـــد تناول اثبات العلماء شخصية سيدنا الخضر بالتعريف لدى تفســـير الآيات والأحاديث التى عرضت لقصته مع الكليم عليهما الســـلام، وتحقيق القول فى حياته الممتدة إلى آخر الزمان والقـــول بنبوتـــه أو ولايته إلى غير ذلك مما يتعلق بهذه الشخصية الربانية. فأمـــا عـــن تسميته: فقد ذكر الإمام النووى – نقلا عن ابن قتيبة فى المعارف أن وهب بن منبه قال: اسم الخضر: بليا بن مالكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح [2] عليه الســـــلام – وقـــال :

---

[1] أنظروا عزو ذلك إلى الجمهور فى تفسير القرطبى (١٦/١١ط: دار الكتب) وتفســـير البيضاوى بحاشية الشهاب (١١٩/٦نشر دار صـــادر بـــيروت) وتفســـير أبى الســـعود (٢٥٩/٣ط : المصرية).

[2] هذا أحد الأقوال فى نسب سيدنا الخضر وقد نقل الحـــافظ ابـــن حجـــر فى الفتـــح (٣٣٥/٦ط: البهية المصرية)هذه الرواية عن وهب وعقبها بقوله (فعلى هذا : فمولده قبـــل إبراهيم الخليل، لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم، وقد حكى الثعلبى قولين فى أنه كان قبـــل الخليل أو بعده، قال وهب: وكنيته: أبو العباس. وثمة أقوال أخـــرى فى نســـبه ومولـــده سنعرض لها بعد.

قالوا:وكان أبوه من الملوك، ثم قال : اختلفوا فى لقبه الخضر[1] فقال الأكثرون: لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء - والفروة: وجه الأرض - وقيل : لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله!! والصواب الأول فقد صح فى البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (إنما سمى الخضر: لأنه جلس على فروة فإذا هى تهتز من خلفه خضراء وبسطت أحواله فى تهذيب الأسماء واللغات)[2]. وتصرح لنا المصادر الموثقة عن هذه الشخصية الربانية بأنها فى جملتها طراز فريد فى العالم الإنسانى حافل بالأعاجيب التى تخترق العوائد والنواميس. فمن ذلك: أن الإجماع منعقد على بقاء سيدنا الخضر حيا إلى آخر الزمان. وقد نقل الإمام النووى - وناهيك به حجة ووثوقا - هذا الإجماع على امتداد حياته إلى عصره ووجوده بين أظهر محاضريه، فيقول: ﷺ تحت عنوان باب "من فضائل الخضر ﷺ" ما نصه جمهور العلماء على أنه حى موجود بين أظهرنا أظهر وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم فى رؤيته، والاجتماع به، والأخذ عنه وسؤاله، وجوابه، ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من،

---

[1] نقل العلامة الجمل فى حاشيته على الجلالين (٣/٣٥) ثلاث لغات فى الخضر إحداها: بكسر الخاء مع سكون الضاد، وثانيتها وثالثها: بفتح الخاء مع سكون الضاد وكسرها.

[2] أنظر شرح النووى على صحيح مسلم ١٣٦/١٦ ط :المصرية.

وأشهر من أن يحصر وأشهر أن يستر.

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حى عند جماهير العلماء الصالحين والعامة معهم فى ذلك، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين)[1]، وقد وردت روايات عديدة تفيد بقاء سيدنا الخضر عليه السلام وامتداد حياته بعد النبى صلى الله عليه وسلم إلى أقرب الساعة، ومن تلك الأحاديث والآثار ما يرتقى إلى درجة الحسن، ومنها الضعيف الذى يتقوى بوروده من عدة طرق بألفاظ مختلفة.

فمن ذلك: ما أخرجه الدار قطنى - فى الأفراد - وابن عساكر عن الضحاك عن الإمام ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: (الخضر آدم لصلبه. ونسىء له فى أجله حتى يكذب الدجال)[2].

ونقل الحافظ ابن الحجر وعن الحافظ عبد الرزاق- فى مصنفه عن معمر أنه قال فى قصة الرجل الذى يقتله الدجال ثم يحييه: (بلغنى أنه الخضر) ثم قال ابن حجر: وكذا قال إبراهيم بن سفيان الراوى عن مسلم فى صحيحه[3].

---

[1] أنظر: نفس المصدر ١٦/١٣٥ - ١٣٦.

[2] خرجه الحافظ بن حجر فى الفتح (٦/٣٣٥ - ٣٣٦ط البهية)وأورد شطرة الثانى بلفظ (مد الخضر فى أجله حتى يكذب الدجال) كما أخرجه الإمام الآلوسى فى تفسيره (١٥/٣٢٢) واللفظ منه وعقبه بقوله: ومثله لا يقال من قبل الرأى.

[3] أنظر فتح البارى: ٦/٣٣٧ ط البهية المصرية.

وفى سبب بقاء سيدنا الخضر على نبينا وعليه السلام: أخرج ابن عساكر عن ابن إسحاق- فى المبتدأ- رواية تعاضد ما سبق عن الإمام ابن عباس رضى الله عنهما، فيروى عن أصحابه أن سيدنا آدم- على نبينا وعليه السلام لما حضره الموت جمع بنيه فقال: يا بنى إن الله تعالى مترل على أهل الأرض عذابا، فليكن جسدى معكم فى المغارة، حتى إذا هبطتم فابعثوا بى وادفنونى بأرض الشام، فكان جسده معهم، فلما بعث الله تعالى نوحا ضم ذلك الجسد وأرسل الله الطوفان على الأرض فغرقت زمانا فجاء نوح حتى نزل بابل، وأوصى بنيه الثلاثة أن يذهبوا بجسده إلى الغار الذى أمرهم أن يدفنوه به، فقالوا: الأرض وحشة لا أنيس بها ولا نهتدى الطريق، ولكن كف حتى يأمن الناس ويكثروا، فقال لهم نوح: إن آدم قد دعا الله أن يطيل عمر الذى يدفنه إلى يوم القيامة، فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذى تولى دفنه، فأنجز الله تعالى له ما وعده، فهو يحيا إلى ما شاء الله تعالى له أن يحيا)[1].

وقد عقب العلامة الآلوسى على هذه الرواية بقوله: (وفى هذا سبب طول بقائه، وكأنه سبب بعيد، وإلا: فالمشهور فيه: أنه شرب

---

[1] خرج الحافظ ابن حجر هذه الرواية فى الفتح - وفى ذات الموضع السابق ذكره - عن ابن إسحق باختصار فى ألفاظها، وخرجها الشهاب الالوسى فى تفسيره (٣٢٢/١٥) كما أوردناها.

من عين الحياة حين دخل الظلمة مع ذى القرنين وكان على مقدمته)[1].

وقد فصل الحافظ ابن حجر هذا السبب القريب المشهور فى طول بقاء سيدنا الخضر- على نبينا وعليه السلام- فقال: (وروى خيثمة ابن سليمان من طريق جعفر الصادق عن أبيه أن ذا القرنين كان له صديق من الملائكة، فطلب منه أن يدله على شئ يطول به عمره، فدله على عين الحياة - وهى داخل الظلمة- فسار إليها والخضر على مقدمته فظفر بها الخضر و لم يظفر بها ذو القرنين)[2].

وقد أسلفنا تأصيل وجود عين الحياة بخاصيتها من حديث الإمام البخارى لدى عرض القصة فى صحيح الحديث الشريف.

ولعل ترجيح العلامة الآلوسى للسبب الأخير- فضلا من شهرته- معزاه أن السبب الأول مع بعده يعوزه التوثيق القوى كتلك الروايات العديدة التى تنسب سيدنا الخضر إلى أبى البشر آدم على نبينا وعليه السلام، أو إلى ابنه قابيل، أو إلى مالك بن عبد الله ابن نصر بن الأزد، أو إلى عمائيل بن النور بن الفيض بن إسحاق أو إلى سبط سيدنا هارون عليه السلام، أو تذكر أنه ابن بنت فرعون

---

(1) أنظر: روح المعانى للإمام الآلوسى ١٥/٣٢٢ط: المنيرية.

(2) أنظر فتح البارى: ٦٠/٣٣٧ ط: البهية المصرية. وانظر أيضا فى الاصابة فى تمييز الصحابة للحافظ بن حجر ٣/١٠٤ بتحقيق د/ طه الزينى ونشر مكتبة الكليات الأزهرية.

أو انه ملك من الملائكة[1].

وأيا كان النسب أو السبب فى تعمير سيدنا الخضر- عليه السلام- فإن الذى يعنينا فى المقام الأول: هو جوهر شخصيته الربانية، ولقد كان من أبرز ما حفلت به تلك الشخصية من عطاء ربانى مؤكد بقاء حياها الذى طوى الأزمان والأعمار لتظل عبر القرون معلما مضيئا من معالم الولاية لله عز وجل، فقد تأكدت لنا حقية بقائه من نقل الإمام النووى والعلامة ابن الصلاح قول جماهير العلماء ببقائه حيا، وقول ابن الصلاح بشذوذ من أنكرها من المتحدثين ثم بإيراد الحافظ ابن حجر وغيره العديد من الأحاديث الدالة على حياة سيدنا الخضر وبعضها بإسناد حسن.

فقد روى الدار قطنى- فى الأفراد- عن الإمام ابن عباس رضى الله عنهما- مرفوعا- إلى النبى ﷺ أنه قال: (يجتمع الخضر وإلياس كل عام فى المواسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله. بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا

---

[1] ساق ابن حجر – فى المصدر السابق – فى نسب سيدنا الخضر عليه السلام أقوالا عشرة واستبعد أكثرها لضعف إسناده وكان مما لم يعقب عليه وأسقطناه آنفا من نقل الإمام النووى عن ابن قتيبة.

بالله).

فهذا الحديث وإن ضعف إسناده لضعف أحد رواته- محمد ابن أحمد بن زيد- إلا إنه روى من طريق آخر برواية ابن عساكر- مفصلا- ثم روى بإسناد حسن عند الإمام أحمد ﷺ حيث قال الحافظ ابن حجر إثر سياق روايتيه المذكورتين (ورواه أحمد فى الزهد بإسناد حسن عن ابن رواد، وزاد: أنهما يصومان رمضان ببيت المقدس)[1].

ومما ساقه الحافظ- فى الفتح أيضا- للدلالة على حياة سيدنا الخضر بعد النبى ﷺ ما رواه ابن يعقوب بن سفيان فى تاريخه، وأبو عروبة من طريق رياح بن عبيدة قال:

(رأيت رجلا يماشي عمر بن عبد العزيز معتمدا على يديه، فلما انصرف قلت له: من الرجل؟ قال: رأيته؟ قلت: نعم. قال: أحسبك رجلا صالحا. ذاك أخي الخضر. بشرنى أنى سأولى وأعدل)[2].

قال الحافظ: ابن حجر: لا بأس برجاله، و لم يقع لى إلى الآن خبر

---

[1] أنظر: فتح البارى: ٦/٣٣٧ ط البهية المصرية والاصابة ٣/١٢٠-١٢٥. وفيض القدير للمناوى ٣/٥٠٥ ط: التجارية، وقد نقل القرطبى فى تفسيره (٤٣/١١) عن عمرو بن دينار أنه قال (إن الخضر والياس لا يزالان حيين فى الأرض ما دام القرآن على الأرض).

[2] أنظر فتح البارى: ٦/٣٣٨ ط البهية.

ولا أثر بسند جيد غيره[١].

وقد وردت جملة أحاديث فى تعزية سيدنا الخضر للصحابة فى وفاة النبى ﷺ يقوى بعضها بعضا، فمنها ما خرجه ابن حجر عن ابن أبى حاتم- فى التفسير- بسنده إلى سيدنا جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أبيه- رضى الله عنهم أجمعين- أن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: (لما توفى النبى ﷺ وجاءت التعزية، فجاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، كل نفس ذائقة الموت إنما توفون أجوركم يوم القيامة) إن فى الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل ما فات، فبالله فثقوا، وإياه فأرجو فإن المصاب من حرم الثواب.

قال جعفر: أخبرنى أبى أن على بن أبى طالب قال: تدرون من هذا؟ هذا الخضر[٢].

---

[١] الحصر فى هذه العبارة إضافى لا حقيقى فهو خاص بأخبار اجتماع سيدنا الخضر ببعض الصحابة فمن بعدهم لا مطلقا كما صرح هو بذلك فى نفس المصدر (٦/٣٣٧- ٣٣٨). بدليل تصحيحه وتحسينه لأحاديث وآثار أخرى فى جملة الروايات المتناولة حياة سيدنا الخضر عليه السلام.

[٢] أنظر: تخريج الحديث فى الاصابة (٣/١٢٧ -١٢٨) ويليه فى ذات المصدر جملة من روايات ذكر تعزية المذكورة بنقد أسانيدها، وأنظر كذلك المستدرك للحاكم (٣/٥٨)

ثم لقد أكد الإمام العينى- فى شرحه على البخارى- ما سبق إيراده عن الإمام النووى- رضى الله عنهما- من تقرير بقاء سيدنا الخضر حيا لدى جمهور العلماء والصالحين فقال: (فالجمهور- خصوصا مشايخ الطريقة والحقيقة وأرباب المجاهدات والمكاشفات- أنه حى يرزق، ويشاهد فى الفلوات، ورآه عمر بن عبد العزيز، وإبراهيم بن أدهم، وبشر الحافى، ومعروف الكرخى، وسرى السقطى، وجنيد، وإبراهيم الخواص، وغيرهم رضى الله تعالى عنهم. وفيه دلائل وحجج تدل على حياته. ذكرناها فى تاريخنا الكبير)[1].

ويتبقى لنا فى هذا المعلم تحقيق القول فى نبوة سيدنا الخضر أو ولايته فنقول:

قد ورد عن العلماء فى هذا الصدد أقوال أربعة:

أحدها: أنه نبى ورسول، وقد ذهب إلى ذلك ابن إسحاق والرمانى وابن الجوزى وطائفة.

وثانيها: إنه نبى غير مرسل، وهذا متجه كثرة من العلماء، وقد أخرج ذلك ابن أبى حاتم عن الإمام ابن عباس رضى الله عنهما،

واتحاف السادة المتقين للزبيدى (١٠/٣٠٠-٣٠٢)، وأنظر نقل القرطبى عن ابن عبد البر فى التمهيد لهذه الرواية فى تفسيره (٤٤/١١).

[1] أنظر: عمدة القارى شرح صحيح البخارى للإمام العلامة بدر الدين العينى ٣٨/١٣ط الحلبى.

وعزى هذا القول إلى الجمهور لدى بعض الأئمة.

وثالثها: إنه ولى غير نبى ولا رسول وهو قول أكثر العلماء ومتجه أئمة الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين، وقد صرح بعزو ذلك إلى أكثر العلماء العلامة الجلال المحلى، إذ قال فى تفسير قوله تعالى: (آتيناه رحمة من عندنا) نبوة فى قول وولاية فى آخر وعليه أكثر العلماء [1].

ويترجح هذا القول على سابقيه ولاحقه بأنه لم يرد نص فى التتريل أو السنة الصحيحة بنبوته أو رسالته، وقد رد العلامة الفخر فى تفسيره على حجج القائلين بنبوته[2].

ورابعها: إنه ملك من الملائكة يتصور فى صورة الآدميين وهذا القول قد حكاه الماوردى ونقله عنه الإمام النووى، وتعقبه بأنه

---

[1] أنظر: تفسير الجلالين بحاشية الجمل ٣/٣٥ط : التجارية.

[2] ساق الفخر فى تفسيره (٢١/١٤٩) ست حجج استدلالية على نبوة سيدنا الخضر وتعقبها جميعا بالرد عليها فمن ذلك مثلا: أنه تعالى قال: (آتيناه رحمة من عندنا) والرحمة هى النبوة بدليل قوله تعالى: (أهم يقسمون رحمة ربك). والمراد من هذه الرحمة النبوة. ولقائل أن يقول: نسلم أن النبوة رحمة، أما لا يلزم أن يكون كل رحمة نبوة. ومن ذلك: ما روى أن موسى عليه السلام لما وصل إليه قال: السلام عليك، فقال: وعليك السلام يا نبى بنى إسرائيل! فقال موسى عليه السلام من عرفك هذا؟ قال: الذى بعثك إلى قالوا: وهذا يدل على إنه إنما عرف ذلك بالوحى، والوحى لا يكون إلا مع النبوة، ولقائل أن يقول: لم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات أو الإلهامات.

غريب باطل.

ومن ثم يعلم أن أقوى تلك الأقوال لدى العلماء هما القــــولان الثانى والثالث اللذان هما متجها أكثرية العلماء علـــى خـلاف فى أرجحية أحدهما على الآخر.

بيد أن الذى يترجح لدينا -كما سبق أن نوهنـــا- أن سـيدنا الخضر- على نبينا وعليه السلام- ولى لله تعالى، وأن الرحمة فى قوله تعالى: ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ هى رحمة الولاية والقرب من الله عز وجل[1].

وأن العلم فى قوله تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ ليس مراداً بـه الوحى وإنما علم الإلهام عن الله تعالى كما فسره العلامة البغـــوى بقوله: (أى علم الباطن إلهاما) ثم أتبعه بقوله: (و لم يكن الخضر نبيـا عند أكثر أهل العلم)[2]

* * * * *

وأما المعلم الرابع: فهو ثبوت مشروعية تبعية المريــد للشـيخ المرشد فى طريق الله عز وجل والسعى إليه ليسلك به سبيل التحقيق،

---

[1] نقل الشيخ إسماعيل حقى قدس الله سره فى (روح البيان ٥/٢٧٠) عن الشــيخ نجـم الدين داية رضى الله عنه أنه قال فى قوله تعالى: ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ يعنى جعلناه قـابلا لفيض نور من أنوار صفاتنا بلا واسطة.

[2] أنظر تفسير الإمام البغوى المطبوع بهامش تفسير الخازن ٢٢٣/٤ ط: الحلبى.

وليعلمه علوم المواهب والأسرار ويطلعه على بواطن الأشياء وحقائقها فى نفسها بعد تصفية الباطن وتجريد النفس وتطهير القلب من العلائق الجسدانية واستغراق الروح فى الأنوار الربانية.

وهذا المعلم مستفاد من قوله تعالى شأنه: (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا)؟.

كما يؤخذ من إيراد الحديث الشريف لسبب ارتحال سيدنا موسى إلى سيدنا الخضر علىّ نبينا وعليهما السلام حيث قال ﷺ (قام موسى عليه السلام خطيبا فى بنى إسرائيل:

فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال أنا أعلم، قال: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه: إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى: أى رب كيف لى به؟؟..) الحديث.[1]

فبمجرد أن علم الكليم عليه السلام أن فى عباد الله من هو أعلم منه توقدت همته وطلب الارتحال إليه بعزم أولى العزم وقال: (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا) وتحمل المشاق حتى وصل إلى العبد الصالح طالبا منه أن يكون تابعا له -مع أفضليته وسمو مقامه- ضاربا أروع المثل فى التواضع والأدب الرفيع والتصبر على

---

[1] لفظ الحديث هنا من رواية الإمام مسلم فى صحيحه. أنظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٥/١٣٧.

ما ليس من مألوفات النفس حتى رأى من عجائب الآيات مـا رأى، وشاهد من الخوارق ما شاهد!!.

ومن التساؤلات الملحة التي تفـرض نفسـها علـى بسـاط البحث: كيف كان سيدنا الخضر- وهو المفضول عن الكليم-أعلم منه؟ وكيف يتبع الأفضل مفضوله وينال منه تربيته وتعليمه؟ وهـل العلم الذي أبداه له في القصة مما يمكن تعلمه؟.

وجواباً عن التساؤلين الأولين معا يقول الشيخ إسماعيل حقي:

(قال شيخي وسندي روح الله روحه: تعليم موسـى وتربيتـه بالخضر إنما هو من قبيل تعليم الأكمل وتربيته بالكامل، لأنه تعـالى قد يطلع الكامل على أسرار يخفيها عن الأكمل وإذا أراد أن يطلـع الأكمل عليها أيضا فقد يطلعه بالذات وقد يطلعه بواسطة الكـامل، ولا يلزم من توسط الكامل أن يكون أكمل من الأكمل أو مثلـه، والكامل كامل مطلقا، والأكمل أكمل مطلقا والرجحان للأكمـل جدا، ولا تسمع إلى غير ذلك مما يقول الضالون.

وقول الخضر لموسى عليه السلام: (يا موسى أنت علـى علـم علمك الله.. وأنا على علم علمني الله..) إنما هو بناء على الامتيـاز المعتبر بينهما بحسب الغالب في نشأة كل منـهما، وإلا: فـالعلم للظاهر والباطن حاصلان في نشأة كل منهما، انتهى، وفهم منـه:

جواب ما سبق من قوله: «إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك»، فإن المراد إثبات أعلميته فى علم من العلوم الخاصة دون سائرها.

وقد انعقد الإجماع على أن نبينا عليه السلام أعلم الخلق، وأفضلهم على الإطلاق وقد قال:

(أنتم أعلم بأمور دنياكم)[1]..[2].

وأما عن جواب التساؤل الثالث: فيقول الإمام فخر الدين الرازى رضوان الله عليه:-

"وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه[3]، وموسى ﷺ إنما ذهب إليه ليتعلم منه العلم فكان من الواجب على ذلك العالم أن يظهر له

---

[1] رواه الإمام مسلم عن السيدة عائشة وعن سيدنا أنس رضى الله عنهما، وخرجه عنه الحافظ السيوطى رضى الله عنه فى الجامع الصغير (١٠٨/١ط الحلبى الرابعة) بلفظ"أنتم أعلم بأمر دنياكم"

[2] أنظر: تفسير روح البيان للعارف بالله تعالى سيدى إسماعيل حقى ﷺ ٢٧٤/٥.

[3] أى بدليل قوله تعالى حكاية عن سيدنا الخضر قوله لسيدنا موسى على نبينا وعليهما السلام "إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) حيث نفى استطاعته الصبر معه فى تبعيته واستبعد حصوله على ما لم يقف الإنسان على حقيقته، ومناط الاستبعاد: غلبة جانب علم الظاهر وعلم الرسالة أدى الكليم ﷺ على جانب علم الباطن وعلم الولاية إذ الحكم للأغلب القاهر. ذكره صاحب روح البيان.

علماً يمكن له تعلمه، وهذه المسائل الثلاثة[1] لا يمكن تعلمها فما الفائدة فى ذكرها وإظهارها؟؟.

والجواب: أن العلم بظواهر الأشياء يمكن تحصيله بناء على معرفة الشرائع الظاهرة.

وأما العلم ببواطن الأشياء: فإنما يمكن تحصيله بناء على تصفية الباطن وتجريد النفس وتطهير القلب عن العلائق الجسدانية، ولهذا قال تعالى فى صفة ذلك العالم: "وعلمناه من لدنا علماً".

ثم إن موسى ﷺ لما كملت مرتبته فى علم الشريعة: بعثه الله إلى هذا العالم ليعلم موسى عليه السلام أن كمال الدرجة فى أن ينتقل الإنسان من علوم الشريعة المبنية على الظواهر إلى علوم الباطن المبنية على الإشراف على البواطن والتطلع على حقائق الأمور[2].

من ثم كان من ضرورة سلوك الطريق إلى الله عز وجل والوصول إلى العلم اللدنى: اتخاذ الشيخ المرشد الذى عقدت له الآية الكريمة: "فوجدوا عبداً من عبادنا..." إلخ. شروطاً ثلاثة هى التحقق بالعبودية الكاملة التى ينتسب بها إلى جناب الحق تعالى ويصير عبداً

---

[1] هذه المسائل هى خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار الواردة فى آيات وأحاديث القصة.

[2] أنظر تفسير الإمام فخر الدين الرازى (مفاتيح الغيب) ٢١/١٦٠-١٦١ طـ دار الفكر بلبنان.

ربانياً، ونيل رحمة الولاية والقرب الإصطفائى، ثم تلقيه للعلم اللدنى من الله عز وجل كما بينا.

ويدون هذا الشيخ البصير بمعالم الطريق إلى الله تعالى هيهات أن يتحقق الوصول، كما لا يتسنى لسفينة أن تصل إلى شاطئ الأمان بدون مرشد، ومن ثم قال العارفون: "كل من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف عن قلبه القناع فهو فى هذا الشأن لقيط لا أب له، دعى لا نسب له[1]".

وقال الإمام العارف سيدى أبو يزيد البسطامى ﷺ "من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان[2]".

إنها التزكية التى لا بد فيها من المزكى والمربى والقائد والطبيب والمعلم والقدوة الحسنة، ليتحقق منهج الاتباع الذى ربى عليه الرسول الأعظم ﷺ أصحابه بمنهج الله كما يتمثل فى قوله تعالى "هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة..[3]".

فليس البعث مقصور الغاية على التبليغ وإنما مع التبليغ تزكية وتعليم وإرشاد.

---

[1] أنظر: روح البيان ٥/٢٦٤.

[2] أنظر: تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى ﷺ ٥/٢٦٤.

[3] سورة الجمعة: ٢.

ومنهج الاتباع هو المتمثل فى قوله "هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً" حيث راعى الكليم عليه السلام فيه أرفع أنواع الأدب فجعل نفسه تابعاً للعبد الصالح وبدأ باستئذانه فى هذه التبعية كأنه قال: هل تأذن لى أن أجعل نفسى تابعاً لك؟؟ ثم عقد التبعية بشرط أن يكون متعلماً والعبد الصالح معلماً، ثم بالغ فى التواضع بالإتيان؟ (بمن) فى قوله "مما علمت" وهى دالة على التبعيض كأنه قال: لا أطلب مساواتك فى العلوم وإنما أريد بعضاً من علومك كالفقير الذى يطلب من الغنى جزءاً من ماله، ثم أتى بقوله "رشداً" لطلب الإرشاد والهداية، والإرشاد: هو الأمر الذى لو لم يحصل لحصل الضلال والغواية[1].

ثم يكون رد سيدنا الخضر بعد كل ذلك: "إنك لن تستطيع معى صبراً" ويفسر ذلك الإمام القرطبى بقوله: (أى: إنك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمى، لأن الظواهر التى هى علمك لا تعنيه، وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب؟ وهو معنى قوله "وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً[2]".

---

[1] أنظر: التفسير الكبير للفخر الرازى ٢١/١٥٢ وروح البيان ٥/٢٧٣.

[2] أنظر: تفسير القرطبى ١١/١٧.

إن تعليل نفى الاستطاعة عن الكليم قد كمن سره فى قول العبد الصالح له: "يا موسى إنى على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من الله علمك الله لا أعلمه".

فقد أبرز مكنونه الإمام عبد القادر الجزائرى ﷺ فقال: (يريد: أنت على علم الرسالة وملاحظة الأسباب فى الأفعال والتروك، والحكم بالشاهد واليمين، والإقرار والإنكار، ونحو ذلك من الوقوف مع ظواهر الأشياء مأمور بسياسة بنى إسرائيل، والتنزل لعقولهم، فلا ينبغى لى أن أعلمه، بمعنى: لا فائدة لى فى العلم به إذ العلم المتعلق بالأكوان إنما يراد للعمل به، وأنا مأمور بالحكم بخلافه، وهو الحكم بالكشف وملاحظة الأمور والأسباب الغائبة، وبما يرد على القلب من الخواطر الربانية التى لا تخطىء، فلا ينبغى لك أن تعلمه لأنك مأمور بخلافه)[1].

ثم يضيف الإمام عبد القادر تنويراً بحقيقة هذا الاختلاف الذى يوهم أفضلية العبد الصالح على الكليم وانتفاء معرفة الكليم بعلوم الحقائق والمكاشفات فيقول عليه الرضوان:

(وهذا الاختلاف بينهما إنما هو فى العلوم المتعلقة بالأكوان.وأما العلم بالذات العلية والصفات الإلهية: فكل منهما على غاية الكمال،

---

[1] أنظر: كتاب المواقف لسيدى عبد القادر الجزائرى ﷺ ١/٣٠٦.

كما يليق بمقام النبوة وبمقام الولاية العظمى، مقام القربة، وهو للأفراد، والخضر عليه السلام منهم، فإن الخضر غير نبى بلا شك عندى، وكما هو عند المحققين من علماء الباطن والظاهر)[1].

شروط تبعية المريد للشيخ:

ثم بعد أن قال سيدنا الخضر لسيدنا موسى عليهما السلام: "وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً"؟؟ تعليلاً لنفى الاستطاعة معه: وضع الكليم ﷺ نفسه مع العبد الصالح موضع الاتفاق والمشارطة فقرر على نفسه شرطين فى صحبته لسيدنا الخضر فقال: "ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً".

و لم يكتف سيدنا الخضر ﷺ بالشرطين فأضاف شرطاً ثالثاً إذ قال: "فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً".

ومن هذه الاتفاقية المشروطة نستخلص من آى القصة القرآنية فى إطار معلم شرعية التبعية للشيخ المرشد فى طريق الله- شروطا ثلاثة لصحبة المريد لشيخه فى الطريق وهى:

أولا: الصبر والثبات وحبس النفس عن الجزع فى مراحل الصحبة للشيخ.

وثانيا: الطاعة وعدم العصيان، وحسن الامتثال للأوامر

[1] أنظر: نفس المصدر.

والنواهى.

وثالثا: التسليم وعدم الاعتراض، وعدم المبادرة بالسؤال عن شيء حتى يحدث الشيخ لمريده ذكرا منه.

وينبغى أن يلاحظ أن هذه الشروط الواجب توافرها فى المريد إنما تعقد مع من توفرت فيه صلاحية الإرشاد والمشيخة بشروطها السابق ذكرها.

وعلى هدى تلك الشروط كانت صحبة الكليم للعبد الصالح على نبينا وعليهما السلام "فانطلقا"..

وكانت المشاهد والخوارق والمكاشفات والمعالم والآيات.

ومن لطائف أسرار هذه القصة الخضرية - فيما يتعلق بمغزى تبعية سيدنا موسى للعبد الصالح - ما كشف عنه سيدى على وفا ﷺ إذ يقول:

(إذا رأيت أن الخضر ﷺ قسمت له الحياة إلى إدراك الزمن المحمدى. فما طلب موسى بفتاه السبيل إليه إلا من باب معنى قول القائل. لعلى أراهم أو أرى من يراهم)[1].

لقد كان حدث اللقاء الموسوى الخضرى مستهدفا للعديد من

---

[1] أنظر: طبقات الإمام العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى ﷺ ٢٣/٢ ط الشرفية.

المقاصد والغايات ومناطا لجملة من الحكم والأسرار، وهذا شأن جلائل الأحداث وعظائم الأمور التى تقع فى حياة الأنبياء والصفوة من عباد الله تعالى، ومن ثم: فلا غرابة أن يرد لهذا الحدث الجلل أكثر من باعث، وهدف وسبب وغاية، وسر، وحكمة، ومقصد، وها هو ذا سيدى على وفا عليه الرضوان يورد مقصدا آخر لملاقاة الكليم للعبد الصالح عليهما السلام فيقول: إنما لقى موسى عليه السلام الخضر بفتاه ليجمع لفتاه بين بحر الرسالة من نبوته، وبحر الولاية من خصوصية الخضر عليه السلام[1].

والسر فى ذلك: أن حكم الولى مع حكم الرسول الذى يلزمه شريعته كحكم النجم مع حكم الشمس، وذلك كما أن النص إذا وجد إندرجت أحكام الاجتهاد كلها تحته، وكان الحكم حكم النص، وإذا غاب النص رجع كل مجتهد إلى حكمه، فكما أن كل مجتهد فى حياة النبى ﷺ مندرج فى حكمه إن أثبته ثبت، وإن نفاه انتفى، كذلك حكم ولى مع رسول، وأما فى زمن أبى بكر ومن

[1] هذا القول يفيد تفسير (مجمع البحرين) بملتقى الكليم والعبد الصالح عليهما السلام وهو متجه فى التفسير ذكر نحوه الفخر فى تفسيره (١٤٦/٢١) فقال "ومن الناس من قال: البحران: موسى والخضر لأنهما كانا بحرى العلم" ففيه حمل على المجاز، وأما من حمل اللفظ على الحقيقة فقد فسر "مجمع البحرين" بعدة أقوال أشهرها قول الإمام قتادة: أنه ملتقى بحر فارس والروم. أنظر القرطبى (٩/١١ دار الكتب).

بعده الخلفاء فلكل مجتهد حكمة لا يلزمه اجتهاد غيره.

فهكذا كان أولياء بنى إسرائيل فى حياة موسى مندرجى الحكم فى حكمه، فلما دنت وفاته، وتوارى شمس رسالته بحجاب خليفته الذى يستخلفه بعده، وكان ذلك الخليفة هو فتاه الذى قصد به الخضر ﷺ: علم أن أحكام أهل الولاية ستظهر فى زمان ذلك الفتى، فأراه كيف يكون معاملته لهم إذا ظهر فى زمن خلافته وجمع له بين أمرى الرسالة والولاية فقال: "لا أبرح" أى لا أموت "حتى أبلغ مجمع البحرين" أى فيك "أو أمضى حقبا" أو أعيش إلى أن يحصل ذلك ولو عشت حقبا "فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما" ثم كان من الأمر ما قص الله علينا فى الكتاب، فعلمه: أن يسلم للأولياء باطنا وإن اقتضى الشرع إنكار شيء من أمرهم، أنكره ظاهرا على جهة الاستعلام كى لا يتشبه بأحكامهم من ليس فى مقامهم)[1].

وقد أضاف سيدى على وفا ﷺ سرا رائعا لملاقاة سيدنا موسى لسيدنا الخضر عليهما السلام يتبدد به وهم الحائر إذ قال (الخضر ﷺمظهر عرفانى رأى فيه موسى ﷺ حين وجوده ما سأل فى

---

[1] أنظر: الطبقات الكبرى للإمام الشعرانى ﷺ ٢٣/٢ طـ الشرفية.

[2] نفس المصدر.

مقامه العرفاني أن يراه في شهوده وذلك المظهر كان منـــه وإليــه فافهم .

* * * *

وأما (**المعلم الخامس**) فهو ثبوت كرامات الأولياء ومكاشـفتهم بالمغيبات التي سترها الله تعالى عن المحجوبين من عامة الخلق على ما شاء الله تعالى.

يقول الإمام القرطبي في تفسيره: (كرامات الأولياء ثابتة على مـا دلت عليه الأخبار الثابتة، والآيات المتواترة، ولا ينكرها إلا المبتـدع الجاحد، أو الفاسق الحائد، فالآيات: ما أخبر الله تعالى في حق مـريم من ظهور الفواكه الشتوية في الصيف والصيفية في الشتاء- على مـا تقدم-ما ظهر على يدها حيث أمرت النخلـــة وكـــانت يابســة فأثمرت[1].

وهي ليست بنبية، على الخلاف، ويدل عليها ما ظهر على يـــد الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتــــل الغـــلام، وإقامـــة

---

[1] يعني قوله تعالى: (..كلما دخل عليها زكريا المحراب وجدها عندها رزقا قال يا مــــريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) من الآية الكريمـــة ٣٧ من سورة آل عمران.

الجدار)[1]...[2]

وإنى لأسائل- وبين أيدينا شواهد التنزيل ناطقة- أولئك الذين ينكرون وقوع الكرامات على أيدى أولياء الله المقربين وإطلاعهم على ما شاء الله تعالى لهم من مكنون غيبه:

كيف علم العبد الصالح- سيدنا الخضر عليه السلام- أن السفينة التى ركبها مع الكليم وفتاه عليه السلام كانت لمساكين يعملون فى البحر، وأن وراءهم ملكا كافرا يدعى جلندى كان يغتصب كل سفينة صالحة فخرقها ليراها جنوده معيبة فيتركوها لأصحابها فيستعملوها بعد إصلاحها اليسير؟.

ومن أطلع العبد الصالح على حال الغلام الذى كان أبواه مؤمنين وهو فى علم الله مطبوع على الكفر والطغيان ولو بقى حيا لأرهق أبويه طغيانا وكفرا ولذهب الثلاثة إلى الجحيم، فكان فى قتله نجاة الثلاثة وإبدال الأبوين خيرا منه.

حيث روى أنه ولدت لهما جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا هدى الله تعالى على أمة من الأمم؟!.

ومن أعلم سيدنا الخضر عليه السلام أن الجدار الذى أقامه كان

---

[1] يعنى قوله تعالى ﴿وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾ الآية الكريمة ٢٥ من سورة مريم.

[2] أنظر: تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) ١١/٢٨ط دار الكتب.

لغلامين يتيمين بمدينة انطاكية- أو غيرها- وكان تحته كنز لهما من الذهب والفضة وكان أبوهما- الذى هو الجد السابع لهما- صالحا، فكانت إقامة الجدار تنفيذا لإرادة الله تعالى بلوغ أشدهما واستخراج كنزهما ولولا أنه أقامه لانقض وخرج الكنز من تحته قبل بلوغهما واقتدارهما على حفظ مالهما؟؟.

إنه إلهام الله تعالى لوليه وإطلاعه على خفايا الأمور الحاضرة والمستقبلة لتنفيذ أوامره، إذ قال: (وما فعلته عن أمرى) أى عن رأيي واجتهادى بل بأمر من له الأمر وهو الله سبحانه وتعالى[1].

وإذا كانت الكرامات التى تجلت فيما ذكر من الوقائع الثلاث تعد من باب الكشف والعلم كما ذكر ابن تيمية فى مجموع فتاويه، فإن هذه الوقائع قد تضمنت أيضا من الكرامات ما هو من قبيل القدرة والتأثير، إذ أورد القرطبى فى تفسير قوله تعالى: (فوجد فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه) ما نصه:

(وقال سعيد بن جبير: مسحه بيده وأقامه فقام، وهذا القول هو

---

[1] أنظر: تفسير العلامة البغوى بهامش تفسير الخازن (٤/٢٢٨ط الحلبى) وتفسير الإمام القرطبى ١١/١/-٣٩ وتفسير الإمام الألوسى ١٤/١٦ وتفسير الشيخ إسماعيل حقى ٥/٢٧٨-٢٨٣ ثم أنظر أيضا تفسير السراج المنير للإمام الخطيب الشربينى ٢/٤٠٠.

الصحيح[1]، وهو الأشبه بأفعال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل والأولياء.

وفى بعض الأخيار: إن سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن، وطوله على وجه الأرض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا، فأقامه الخضر عليه السلام، أى سواه بيده فاستقام)[2]!!.

ومن الكرامات المنوطة بشخصية سيدنا الخضر عليه السلام على العموم، وفى هذه الوقائع على الخصوص:اختفاؤه عن الأعين مع وجوده، فلا يظهر إلا عند الحاجة إليه بمقتضى الحكمة وقد يكون ظهوره نسبيا لشخص دون آخر، يؤيد ذلك ما ذكره الإمام الآلوسى قدس الله سره بقوله:

(والظاهر أن أهل السفينة لم يروه لما باشر خرقها، وإلا لما مكنوه وقد نص على ذلك على القارى.

وأخرج وابن المنذر ابن أبى الحاتم عن أبى العالية- من طريق حماد ابن زيد عن شعيب ابن الحبحاب- أنه قال: (كان الخضر عبدا لا تراه إلا عين من أراد الله أن يريه إياه، فلم يره من القوم إلا موسى

---

[1] هذا التصحيح ترجيح من القرطبى لهذا القول على ما أورده قبله بقوله (قيل: هدمه ثم قعد يبنيه)

[2]أنظر: تفسير القرطبى ١١/٢٧-٢٨.

عليه السلام، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين خرق السفينة، وكـــذا بينه وبين قتل الغلام)..[1].

وأما (**المعلم السادس**) الذى نستقيه من قصة سيدنا موسى مـــع العبد الصالح عليهما السلام: فإنه: ثبوت أنه لا مخالفة بين الشـــريعة والحقيقة، ولا بين الظاهر والباطن على الحقيقة، وأن حقيقة العلاقـــة بين الشريعة والحقيقة إنما هى التلازم أو الاتحاد.

وقد تجلى ذلك بوضوح فى آيات القصة وفى مسارها إلى غايتـــها بما لا يدع مجالا للمماراة، واللجاج، والتعنت فى إدعـــاء مخالفـــة الحقيقة للشريعة حيث يجد الطعن سبيله إلى التصوف.

---

[1] أنظر نفس المصدر ٢٠/١١ وتفسير الإمام الآلوسى ٣٣٧/١٥.

وللمزيد من تجلية أمر ظهور سيدنا الخضر وخفائه عليه السلام يقول سيدى على وفى عليـــه الرضوان: (النفس ما له الادراك والروح ما به الادراك فى كل مقام بحسبه، ومن هنا سمـــى القرآن روحا وعيسى روحا وجبرائيل: روح الوحى المرسل فى المعانى الجلالية، وميكـــائيل: روح هذا الوحى فى المراتب الجمالية، ولذلك: كانت آية الياس النار تسير معـــه، حيثمـــا سار، وأما الخضر: فإنه جلس على الأرض اليابسة فاخضرت وحيث جمع لموسى بين النـــار والشجرة فى تجلية وتم له ذلك. ظهر له عين الأمرين فى اليابس قومه وخضرهم، ولذلـــك كان الياس للأولياء كجبريل للأنبياء وكان اكثر من يراه أصحاب المجاهدات: والخضر لهـــم: كميكائيل، وأكثر من يراه أصحاب المشاهدات، ولا يظهران لأحد إلا متمثلين من غيبـــة إلى شهادته، ويراهما كل أحد بحسب حاله ومقامه، ويراهمـــا فى الآن الواحـــد جماعـــات متفرقون فى أماكن متباعدة على هيئات مختلفة، ولا يظهران معا إلا لمن له روح الكمـــال ذات جلال وجمال فافهم)، انظر طبقات مولانا الامام الشعرانى ﷺ ٢٤/٢ط الشرقية.

فلقد كان سيدنا موسى- على نبينا وعليه السلام- فى هذه القصة فى مقام التشريع واقفا مع الظاهر متمسكا بأحكام العبادة التى شرعها الله تعالى، فارتحل بفتاه إلى سيدنا الخضر عليه السلام طلبا للعلم وصحبة أهل الحقيقة، ورغم توثيق الشروط بينهما للصحبة والتبعية كان منه الإنكار والاعتراض لدى صدور ما لا يقر الشرع ظاهره حتى إذا انقضت الوقائع الثلاث و لم يتسن- لوقوفه مع ظاهر الشريعة- قيامه بالشروط الثلاثة المبرمة بينهما كان الفراق، لأن العبد الصالح كان فى مقام التحقق مشاهدا للحق تعالى فاعلا عن أمره فانيا عن الأسباب قائما بالمسبب جل وعلا، بصيرا ببواطن الأشياء وسرائرها، فكان بوقوفه مع الحقيقة عن كشف ويقين منفذا لأوامر الله عز وجل.

ولأن الحقيقة فى حقيقتها لا تخالف الشريعة، ولأن الباطن فى حقيقته لا يناقض الظاهر فى حكمه كان محكم التتريل ناطقا بتأويل الظاهر- الذى أوهم ظهوره مخالفة الشريعة- برده مع كشف الحقيقة إلى عين الشريعة ليتجلى فى ضوء التتريل الحكيم أن الشريعة والحقيقة وجهان لعملة واحدة، وما الأمر إلا ظهور وبطون، وجلاء وخفاء.

فكانت نهاية مطاف الوقوف مع ظاهر الشريعة بعد الإنكار

المتتابع قول العبد الصالح: (هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تسطع عليه صبرا).

كان الكليم عليه السلام واقفا فى هذا المقام مع الإيمان بالغيب عليما بالأمر والنهى ملتزما بالعبودية والغيرة لأحكام الله تعالى.

وكان العبد الصالح عليه السلام متحققا بانكشاف العلم اللدنى والمشاهدة فاعلا بالله تعالى فى خلقه عن أمره، فلم يكن بعد كشف السر تعارض ولا اختلاف.

ولقد أكد أئمة الصوفية العارفين بالله تعالى علاقة التلازم بين الشريعة والحقيقة، فيقول الإمام القشيرى قدس الله سره (الشريعة أمر بالتزام العبودية).والحقيقة: مشاهدة الربوبية، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق. والحقيقة إنباء عن تصريف الحق، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر، وأخفى وأظهر)[1].

ثم يقول شيخ الإسلام سيدى زكريا الأنصارى ﷺ.

(..الشريعة: معرفة السلوك إلى الله تعالى، والحقيقة: دوام النظر

---

[201] أنظر الرسالة القشيرية وشرحها لشيخ الإسلام سيدى زكريا الأنصارى ٩٣/٢ نشر الدروبى وعرفه بدمشق.

إليه والطريقة: سلوك طريق الشريعة أى: العمل بمقتضاها، وبعضهم لم يفرق بينها وبين الشريعة فالشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطن الشريعة وهما متلازمان لا يتم إحداهما بالآخر)[٢].

ثم نجد علما من شوامخ أعلام التصوف الإسلامى وهو الإمام أحمد الفاروقى السر هندى مجدد الآلف الثانى قدس الله سره يقرر عدم المغايرة بين الشريعة والحقيقة، ويدحض زعم المخالفة بينهما أو التغاير بين الشريعة والطريقة أصلا فيقول: (إن قوما مالوا إلى الإلحاد والزندقة يتخيلون أن المقصود الأصلى وراء الشريعة!! حاشا وكلا ثم حاشا وكلا، نعوذ بالله من هذا الاعتقاد السوء، فكل من الطريقة والشريعة عين الآخر، لا مخالفة بينهما بقدر رأس الشعيرة، وكل ما خالف الشريعة مردود وكل حقيقة ردتها الشريعة فهى ذندقة)[١].

ويضيف عليه الرضوان أن تبيانا رائعا يجسد به حقيقة كل من الشريعة والطريقة والحقيقة بالمثال ويتبعه بتحليل ما قد يظهر لدى بعض السالكين مما يخالف ظاهر الشريعة فيقول فى هذا المبحث من مكتوباته: (..والباطن متمم للظاهر ومكمل له لا مخالفة بينهما مقدار شعرة مثلا: عدم نطق اللسان بالكذب شريعة، ونفى خاطر

---

(١) أنظر مكتوبات الإمام الربانى سيدى أحمد الفاروقى: المكتوب الثالث والأربعين ٥٨/١.

الكذب عن القلب إن كان بالتكلف والتعمل فهو طريقة، وإن تيسر بلا تكلف فهو حقيقة، ففى الجملة: الباطن الذى هو الطريقة والحقيقة مكمل للظاهر الذى هو الشريعة، فالسالكون سبيل الطريقة والحقيقة إن ظهر منهم فى أثناء الطريق أمور ظاهرها مخالف للشريعة ومناف لها فهو من سكر الوقت وغلبة الحال، فإذا تجاوزوا هذا المقام ورجعوا إلى الصحو ارتفعت تلك المنافاة بالكلية وصارت تلك العلوم المضادة بتمامها هباء منثورا[١].

ويقول قدس الله سره (اعلم أن الشريعة والحقيقة متحدان فى الحقيقة، ولا فرق بينهما إلا بالإجمال والتفصيل، والاستدلال والكشف، بالغيب والشهادة، وبالتعمل وعدم التعمل، وللشريعة من ذلك الأول، وللحقيقة الثانى. وعلامة الوصول إلى حقيقة حق اليقين مطابقة علومه ومعارفه لعلوم الشريعة ومعارفها، وما دامت المخالفة موجودة ولو أدنى شعرة فذلك دليل على عدم الوصول، وما وقع فى عبارة بعض المشايخ من أن الشريعة قشر والحقيقة لب فهو وإن كان مشعرا بعدم استقامة قائله ولكن يمكن أن يكون مراده: أن المجمل بالنسبة إلى المفصل حكمه حكم القش بالنسبة إلى اللب)[٢].

---

(١) أنظر نفس المصدر: المكتوب الحادى والأربعين ٥٤/١، وروح المعانى للإمام الآلوسى ١٨/١٦.

(٢) أنظر المصدر الأخير ١٩/١٦.

ترى: هل هنالك غيرة وحرص على شريعة الله ووضع للأمور فى نصابها يسموا إلى هذا الشأن السامق الذى شعت منه كلمات هـذا الإمام الصوفى العارف لتقشع غياهب الجـهل بحقيقـة التصـوف الإسلامى وتدحض مزاعم الحيلولة بين الشريعة والحقيقة؟؟.

إنه منطلق الصوفية العارفين بالله تعالى، أهل التشرع والتحقـق يؤكد تلازم الشريعة والطريقة والحقيقة والاتحـاد بـين الظـاهر والباطن.

* * * * *

ثم نأتى إلى (**المعلم السابع**) وهو: إن المقصد الأسمى للسـالكين لطريق الله تعالى ليس هو حصول العلم اللـدنى والمكاشـفات أو المشاهدات أو الأحوال والمقامات وإنما هو الوصول إلى الله تعالى أى إلى مقام الرضا هو ذروة السعادات وتتحقق بالعبودية الكاملـة لله تعالى فذاك أشرف الغايات.

يدلنا على ذلك ابتداء: تصدر انتساب العبد الصـالح- سـيدنا الخضر عليه السلام- إلى الله تعالى بوصف العبودية الكاملة علـى وصف إيتاء الرحمة وتعليم العلم اللدنى فى قوله تعالى: ﴿فوجدا عبـدا من عبادنا..﴾ الخ.

كما يعلم من أفضلية الكليم وأكمليته بالنسبة إلى العبد الصـالح

رغم وقوع المكاشفات والخوارق من العبد الصالح.

وفى إطار هذا المعلم: يلقن العارفون بالله تعالى درساً للسالكين والقاصدين، فيقول الإمام الآلوسى قدس الله سره: (..ثم إن تلك الغيوب والمكاشفات بل سائر ما يحصل للصوفية من التجليات ليس من المقاصد بالذات، ولا يقف عندها الكامل، ولا يلتفت إليها.

وقد ذكر الإمام الربانى مجدد الألف الثانى قدس الله سره- فى المكتوب السادس والثلاثين المتقدم نقل بعضه- أن تلك المكاشفات والتجليات تربى بها أطفال الطريق، وأنه ينبغى مجاوزتها والوصول إلى مقام الرضا الذى هو نهاية مقامات السلوك والجذبة، وهو العزيز لا يصل إليه إلا واحد من ألوف...!! ثم يتبع ذلك بقوله ﷺ.

(ويعلم مما ذكر: أن موسى عليه السلام أكمل من الخضر، أعلمية الخضر عليه السلام بعلم الحقيقة كانت بالنسبة إلى الحالة الحاضرة، فإن موسى عليه السلام عبر عن ذلك و لم يقف عنده، لأنه فى مقام التشريع، ولعل طلبه التعليم كان بالأمر ابتلاء له بسبب تلك الفلتة؟[1])

وقد ذكروا أن الكامل كلما كان صعوده أعلا كان هبوطه أنزل، وكلما كان هبوطه أنزل كان فى الإرشاد أكمل وفى الإفاضة

---

[1] أى بسبب قوله لمن سأله أى الناس أعلم: أنا.

أتم، لمزيد المناسبة حينئذ بين المرشد والمسترشد، ولهذا قـالوا فيمـا يحكى: إن الحسن البصرى وقف على شط نهر ينتظر سفينة، فجـاء حبيب العجمى فقال له: ما تنتظر؟ فقال سفينة، فقال: أى حاجـة لك إلى السفينة؟ أما لك يقين؟ فقال الحسن أما لك علم؟ ثم عـبر حبيب على الماء بلا سفينة ووقف الحسن، إن الفضل للحسن، فإنـه كان جامعاً بين علم اليقين وعين اليقين، وعرف الأشياء كما هـى. وفى نفس الأمر: جعلت القدرة. مستورة خلف الحكمة، والحكمـة فى الأسباب، وحبيب صاحب سكر لم ير الأسباب فعومل برفعـها، ومن هنا يظهر سر قلة الخوارق فى الصحابة[1].

وبعد: فهذه رءوس المعالم الصوفية فى قصة موسى مع سـيدنا الخضر على نبينا الأعظم وعليهما الصلاة والسلام تتجلـى فيـها أصول التصوف الإسلامى فى أروع صورها وأروع مراتبها لتكـون حجة لأولياء الله تعالى فى وجه المنكرين وسند الأنصـار الصوفيـة المحققين جعلنا الله منهم ببركة سيدنا محمد سيد الأولين والآخريـن صلى الله عليه وسلم.

* * * * * *

تم بحمد الله تعالى إعداد هذا البحث فى الثالث عشر من شـهر

---

[1] أنظر: روح المعانى للإمام الألوسى ١٦/ ٢٠.

رمضان المبارك ١٤٠٧هـ في رحاب سيد الشهداء مولانا الإمام الحسين ﷺ وأرضاه ورضى عنا به آمين.

أ.د جودة محمد أبو اليزيد المهدى

